الملاحق

الملحق الأول

فقرات من الجزء الأول من كتاب« تاريخ أعمال الحرب»، اعتقد كوهلر أنه مقتبس من الترجمة الذاتية لفيليب دي نوفار، وقد تولى نشره تحت عنوان:« قطعة من ترجمة ذاتية»

١ (٨٢) : حدث أن كان في سنة ١٢٢٣ لتجسيد مولانا يسوع المسيح في مملكة القدس فتاة اسمها إيزابل، ابنة الملك جون دي بريين، وقد كانت الوريث الشرعي لمملكة القدس وسيدة لها من خلال أمها الملكة ماريا التي كانت حفيدة الملك عموري، ملك القدس .

٢ (٨٣): وكان لهذه الفتاة النبيلة التي أرغب بالحديث عنها، والتي كانت الوارث الشرعي لمملكة القدس، أخت تزوجت من ملك قبرص، الذي كان اسمه هيوج، وكانت تعرف باسم الملكة أليس .

٣ (٨٤): ووجد في هذه الآونة على هذا الطرف من البحر رجل نبيل كان اسمه جون دي إيبلين، وقد كان صاحباً لبيروت، وكانت لديه في مملكة قبرص موارد عظيمة جداً أتت من قلاعه ومن ممتلكاته الأخرى، وكان صاحب بيروت هذا شجاعاً، وقاسياً جداً، ونشيطاً، وعبقرياً، وأديباً، وصاحب أخلاق حميدة تجاه جميع الناس، ولهذه الأسباب كان محبوباً جداً، ومشهوراً في كل مكان، وكان فوق كل شيء حكيماً، وواسع المعرفة، ورجلاً عالي التقدير، ومخلصاً تجاه الرب .

٤ (٨٥): وكان لصاحب بيروت أخاً اسمه فيليب دي إيبلين، الذي امتلك أيضاً موارد كثيرة وإقطاعات، وكان مثله شجاعاً، ونشيطاً، وكان هذان السيدان خالان للفتاة المتقدمة الذكر، أي ملكة القدس، ولأختها الملكة أليس ملكة قبرص .

٥ (٨٦) : ولقد حدث في هذه السنة(١٢٢٠) أنه جرى تنصيب فردريك ــ الذي يعرف باسم يتيم أبوليا ـ امبراطوراً من قبل البابا هونوريوس، وشرع يحكم بمثابة امبراطور في هذه الآونة، متمتعاً بقوة كبيرة، وشهرة عظيمة، كما وحدث في هذا الحين(١٢٢٢) أن ذهب الملك جون دي بريين إلى البلاط في روما، أي إلى البابا، الذي كان اسمه هونوريوس، واتفق معه أن يقوم البابا المذكور بترتيب زواج الفتاة المتقدمة الذكر، أي إيزابل ملكة القدس، التي كانت ابنته، من الامبراطور فردريك المتقدم الذكر، كما تقدم وأخبرتكم .

٦ (٨٧) : وكان قبل هذا قد بعث الامبراطور رسلاً إلى الملك جون وإلى بارونات مملكة القدس، للإعداد لزواجه من الفتاة المذكورة التي كان قد سمع بأخبارها، غير أنه عندما مضى رسل الامبراطور إلى سورية، كان في الوقت نفسه، قد ذهب الملك جون إلى بلاط روما، وهكذا لم يعرف أي طرف شيئاً عن أخبار الطرف الآخر، وضمن الملك جون موافقة البابا على الزواج المذكور كما سمعتم .

٧ (٨٨) : وتمت الموافقة على الزواج، وأكمل من على الطرفين، وبناء عليه أعدّ الامبراطور مجموعة من الغلايين وسلحها، وذلك بغية الذهاب إلى سورية لجلب الفتاة المذكورة، أي ملكة القدس، وأناب الامبراطور عنه رجلاً عاقلاً وله مكانته، هو أسقف باتي، وإليه أعطى الامبراطور خاتمه، فبذلك الخاتم كان الأسقف سيقوم بتزويج الفتاة المذكورة من الامبراطور، ونالت القضية موافقة الكنيسة المقدسة، وانتدب الامبراطور عدداً من فرسانه والأعيان لديه للسفر على متن الغلايين المذكورة، لمرافقة السيدة المذكورة لدى قدومها، وبعث الامبراطور بهدايا جيدة من أجود المجوهرات إلى السيدة المذكورة، وإلى خاليها، وإلى أقربائها الآخرين، وأقلعت الغلايين وقدمت إلى مدينة عكا .

٨ : وصدف أن كان في تلك الأيام بارون بيروت النبيل وصاحبها، في

عكـا، حيث استقبـل أسقـف بـاتي وفرسـان الامبراطـور الآخـرين بكـل تشريف وترحاب عظيم، لأنه كان مـن أعظم اللوردات أدباً، وكان معتاداً تماماً على مثـل هذه الخدمـات، ويعرف جيـداً كيف يقـوم بأدائهـا، وأمن الإقامـة لهم، مع الخدمات الجيدة ووافـر الحاجيات، وجمع كل البـارونات الذين كـانوا في عكا، وقد تلقـوا رسائل البابا، والامبراطـور والملك جون، وأعطوا الأخبـار اهتماماً جيداً، واحتراماً عظيماً، وأبدوا سرورهـم وغبطتهم نحو أخبار الزواج المذكور .

٩ (٨٩) : وقـام صاحـب بيروت مع أخيـه الـذي قدم مـن قبرص، وأيضـاً جميع بـارونـات سوريـة وقبرص وفـرسانهما، والعـامـة والبرجاسيـة والآخرين من الناس بارتداء ثيـاب الفرح، وأعدوا الأشياء الأخرى اللائقة للاحتفال بمثل هـذا الزواج النبيل، وهذا التتويج الرفيـع جداً، وقد بعثوا بالفتاة المذكورة إلى صـور، وهناك جرى تزويجها وتتويجهـا من قبل سمعان رئيس أسـاقفة صور، واستمرت الاحتفـالات خمسة عشر يومـاً، وفي رقص وغناء ونشاطات اجتماعية، وفي تبادل ثيـاب الفرح ومنح الثياب، وأشكال أخرى كثيرة من أشكال الاحتفال .

١٠ (٩٠) : وعندمـا انتهت الاحتفالات في مـدينة صـور، وسط كثير من الأبهة كما هـو لائق ومناسـب لمثل هـذا الزواج الهام بين هـذه الملكة النبيلـة ملكة القـدس وشخصيـة عظيمة هـي شخصيـة الامبراطور، قـام صاحب بيروت الذي هو خالها وأخوه مولاي فيليب دي إيبلين والآخرون من أقربائهـا بتعيين بعض الأشخاص للإرسال مع الملكـة حتى تصل إلى الامبراطور ورتبوا أن يكـون الذين سيرافقونها هم : سمعان رئيـس أساقفة صـور، والسير بـالين صـاحـب صيـدا، وهـو ابـن خـال ألماني للملكـة المذكـورة، وذلك مـع فرسـان آخريـن وأعيان وسيـدات ووصيفات، وقـد رافقوهـا حتى أوصلـوها إلى الامبراطـور فردريـك، لكن خـالها صاحـب بيروت وبعض البارونات الآخرين اكتفوا بمرافقتها حتى قبرص فقط .

١١ (٩١): وعندما حل اليوم الثامن من شهر تموز لسنة ١٢٢٤ (١٢٢٥) حملت الملكة المذكورة نفسها إلى الغلايين العشرين المتقدم ذكرها، التي كان الامبراطور قد أرسلها، ولدى مغادرة الملكة رافقتها أختها(عمتها) الملكة أليس، ملكة قبرص والسيدات الأخريات إلى الشاطىء وهن يبكين، وكأنهن قد شعرن أنهن لن يرينها مرة ثانية، كما حدث بالفعل ولم يرينها، ولدى مغادرة السيدة المذكورة نظرت نحو البلاد وقالت:«أدعك بحفظ الرب، يا سورية الجميلة، لأنني لن أراك مرة أخرى»، وما تنبأت به هو الذي حدث .

الملحق الثاني

فقرات من الجزء الثاني من «تاريخ أعمال الحرب» كان كوهلر قد حذفها لدى إعداده لطبعته لنص فيليب دي نوفار

(٩٩): مضى في هـذه السنة نفسهـا (١٢١٨) جيش سوريـة بوسـاطة البحر، إلى دمياط، وانتزعها مـن أيدي المسلمين، وجاء بعد هذا (١٢١٩) من رومـا إلى عكا المعلـم بيلاغوس، أسقـف ألبانـو، ونائب البـابا، وأمير الرومان.

(١٠٠):واستـولى في سنـة ١٢١٩ بوهيمـونـد صـاحب أنطـاكيـة على أنطاكية وانتزعها من ابن أخيه روبن، بوساطة مؤامرات وليم فارابل Far-abel.

(١٠١): ومات في هذه السنة نفسها ليون ملك أرمينيا (كليكية).

(١٠٢) وتوج امبرطوراً في هذه السنة (١٢٢٠) في رومـا فردريك ملك صقليـة، وكـان ذلـك في كنيسـة القـديـس بطـرس، وبـوسـاطـة البـابـا هونوريوس الثالث، وأظهر فردريك هـذا نفسه عندما كان شاباً، وقبل أن يصبح امبراطـوراً، على أنه رائع جـداً، لكنه بعـدما صـار امبراطوراً بـذل غاية جهده في سبيل ايذاء الكنيسـة المقدسة والحط من شأنها، وفي سبيل تدمير الـرجال النبلاء، وقـد رفع من شـأن الأقنان والرجـال ذوي الأصل الدنيء، واعتنى باللصوص ودافع عنهم وكـذلك عن القتلة وعن آخرين، لأن مثل هـذه الأشياء فعلهـا هو نفسه أكثـر من هؤلاء الآخـرين الـذين دافع عنهـم، وأكبر مما استطاعـوا أن يفعلوه، فقـد كان شريراً بـلا حدود، حتى أنه لم تتـوفر أية شفقة لديـه، وكان خائنا وشريراً، ولايمكـن الوثوق بأي من أيمانه أو وعوده التي قطعهـا على نفسه، وكان متمنعا دوما، لابل نشيطاً جـداً في عدم فـرض احترام الايمان الكاثـوليكي، وقـد قام دون أن يـوفر أحـداً أو يصون كـرامـة الناس أو الكنيسـة، أو الجنس، أو السـن،

بتعـذيب الأرامـل، والأطفـال، والمسنين، والضعفـاء، ورؤساء الأسـاقفـة، والأساقفة ورجال الدين بشكل هـائل، وبطريقة لم يسمع بمثلها من قبل، فقد حـرم هؤلاء من قبلـه من حياتهم ومن مقتنيـاتهم، أما النسبة لمسـألة الجنـس فإنـه قد خـالف الطبيعـة، لـذلك تفـوق في دعارتـه على نيرون، وكانت أفعـال عهره تفوق الاحصاء، وكذلـك أفعال الزنا لديـه، فقد كان سدوميـا في جميع الأحـوال، وقد سجـن ابنه هنـري، ملك ألمانيـا، وهكذا فإنـه مات بـالسجن، حسبما ستجد خبر ذلـك فيما يلي، وقام أخيراً البـابا هونـوريوس المتقـدم الذكـر بحرمـانه كنسيـاً، وقاتـل ضده كثيراً، حسبما ستسمع حول ذلك فيما بعد.

(١٠٣): استعاد المسلمون في سنة ١٢٢١ دمياط من المسيحيين، وأخذ في هذه السنة وكيـل أرمينيا روبن المتقدم الذكر إلى طـرسوس، ووضعه في السجن، حيث توفي، وماتت في هذه السنة كونستانس امبراطورة ألمانيا.

(١٠٤): وعاد في سنة ١٢٢٢ النائب البابوي بيـلاغوس المتقدم الذكر إلى رومـا، وذهب معـه الملك جـون، ملـك القدس، والبطـريرك رالـف، والراهـب غورين دي مـونتاغيو، مقـدم الاسبتارية، وتحادث الملـك جون المذكور مع البابا حول زواج ابنته من الامبراطور، وذلك بمباركة من البابا هونوريوس الثالث.

(١٠٥): وتزوج في هـذه السنة فيليب بن بـوهيموند أمير أنطاكيـة من ابنة الملك ليون ملـك أرمينيا، وتسلم المملكة كلها، وأخذه الـوكيل بعدها ووضعه في السجن حيث مات.

(١٠٦) :وكـانت في هـذه السنـة هـزة أرضية كبيرة في قبرص، دمـرت بافوسPaphos.

(١٠٧):وعاد في سنـة ١٢٢٣ البطريـرك رالف، بطـريرك القـدس من روما إلى عكا.

(١٠٨): ومات في هـذه السنة الملـك فيليب ملك فـرنسا، وتـوج ابنه لويس ملكاً على فرنسا،وأخذ في هذه السنة لى روشيل La Rochelle.

(١٠٩): وجاء في سنـة ١٢٢٣ (١٢٢٥) إلى عكا أسقـف باتي، وحمل الخاتـم الى ايـزابـل ابنـة الملـك جون، ملـك القـدس، وذلـك لصـالـح الامبراطـور فردريـك، ومـات في هذه السنـة (١٢٢٥) البطـريك رالـف بطريك القدس،واختير بعده جيرولد بطريكاً للقدس.

(١١٦): وجرى في سنـة ١٢٢٥ تتويج ايزابـل ابنة الملك جـون ملك القدس في صور،وعبرت بعـد هذا البحر لتتزوج من الامبراطـور فردريك، وقد ذهبت إلى هناك مـع سمعان رئيس أساقفة صور ومـع بالين صاحب صيدا.

(١١٨): وجـاء في سنـة ١٢٢٦ (١٢٢٧) مـن عبر البحـر الكـونـت توماس، من جهة الامبراطور فردريك، وصار وكيلاً في عكا.

(١١٩): وبدأت في هـذه السنة أعمال بناء قلعـة مونتفورت (القـرين) من قبل رهبـان فرسان التيوتـون، وهي قلعة في سوريـة في مملكة القدس، ومات في هـذه السنة (١٢٢٦) الملك لـويس ملـك فرنسا، وجـرى بعده تتويج ابنه لويس، الذي أدار المملكة بتقوى وسلام طوال حياته.

(١٢٠): ومـات في سنة ١٢٢٧ البـابـا هونـوريـوس الثـالث المتقـدم الذكـر، الذي شغـل كرسي رومـا لمدة عشر سنوات، وستـة أشهر، وثـلاثة وعشرين يوماً.

(١٢١): وصار بعده البابـا غريغوري التاسع، وهو قـد ولد في شامبين في مدينـة أنيان Anaine، وقد اختير في سبتيسـوليوم Septisolium في اليوم الثـامن من آذار بعد عيـد القديس جـورج، وقام بتطويب القـديس فرانسيس، والقـديس أنثوني، والأخوة الصغـار، والقديسة ايزابـل الألمانية، التي كانت زوجـة اللاندغريف، وقد اختصر مختلـف مصنفات المراسيم،

وأضاف أوامره، بحيث أن أشياء كثيرة كان مشكوكاً بها باتت جلية، وتولى حرمان الامبراطور فردريك كنسياً مرتين وفي مناسبتين، وشن الامبراطور الحرب لمدة طويلة ضده، وقد شغل كرسي روما لمدة أربعة عشر عاماً وستة أشهر وثلاثة أيام، وقدم في هذه السنة من روما إلى عكا البطريرك جيرولد بطريرك القدس، الذي كان نائباً عاماً للبابا، وجاء أيضاً دوق ليمبورغ Lemburg ، وأسقف وينشستر، وأسقف اكسيتر، والسير جوفيان الذي خدم الامبراطور لبعض الوقت، حسبما تحدثنا من قبل، وقد جاء انذاك عائداً من عبر البحر إلى قبرص.

(١٢٤): وتوفي في هذه السنة (١٢٢٧) الراهب غورين دي مونتاغيو، مقدم فرسان القديس يوحنا.

(١٢٥): وبنيت في هذه السنة قلعتا قيسارية وصيدا، وتوفي في هذه الآونة كورودين (الملك المعظم عيسى) سلطان دمشق.

(١٥٧): وبنى في سنة ١٢٢٩ البطريرك جيرولد برجين في يافا مقابل عسقلان، كما أعيد بناء كنيسة الضريح المقدس، وجاء بطريرك أنطاكية إلى عكا بمثابة نائب لبلاط روما، وانتزعت بعد هذا نيابة البابا من بطريرك (القدس) بوساطة الامبراطور فردريك الذي تشكاه إلى البابا، ولهذا ذهب إلى روما واسترد استلام وظيفة النيابة البابوية طوال بطريركيته.

(١٩١): وعندما طال أمد القتال كثيراً، لم يعد بامكان الأبوليين التحمل أكثر، فقد تلقوا خسائر كبيرة وأضراراً فادحة، لذلك تخلوا عن أرض المعركة، ومضوا متعبين عبر الممر إلى سيرينا، ولاحقهم القبارصة، وطاردوهم، وظلوا يتشابكون معهم ويتبادلون الطعن والضرب معهم حتى أبواب سيرينا، حيث أعادوا تجميع أنفسهم بعد صعوبات جمة، وبعد ما ربح القبارصة المعركة، واستولوا على الميدان، وطاردوهم حسبما سمعتم، عادوا إلى مكان كان عبارة عن أرض منخفضة عند سفح

الجبل، وهناك عسكروا.

(١٩٢): ورأى رتشارد فيلنغر قائد جيش اللومبارد أنه قد حوصر، وأن ليس لديه ما يكفي من الرجال أو الطعام، لذا عقد اجتماعاً للتشاور وبعث إلى بافوس لجلب السفن التي كانت هناك، وعندما جاءت السفن إليه، انتخب الرجال الذين أرادهم أن يبقوا في سيرينا، وصعد هو والآخرون ظهور الغلايين، وتوجهوا إلى أرمينية (كليكية)، ووصلوا إلى طرسوس، واستقبلهم هناك الملك هيتوم وأبوه قسطنطين، ورحبوا بهم ترحيباً كبيراً، وقد مكثوا مدة طويلة في تلك البلاد، وأصابهم الطاعون هناك، ولذلك مات عدد كبير منهم، ووقع عدد أكبر مرضى، وعندما رأوا أنهم لايمكن لهم الاستمرار أحياء في تلك البلاد، لذلك غادروها وقدموا إلى صور.

(١٩٣): وما أن ذهب الذين سمعت عنهم، وغادروا سيرينا للتوجه إلى أرمينيا حتى عسكر الملك هنري ورجاله قرب أسوار سيرينا، وهكذا أقاموا ملاصقين للأسوار إلى حد أن مامن انسان كان قادراً على الخروج أو الدخول، ونتيجة للمعركة التي وقعت قبيل قليل بقي الملك هنري يتمتع بسلطانه بسلام ودونما ازعاج، وكذلك فعل الرجال الذين كانوا معه، واستمر الحصار أمام سيرينا حتى ما بعد عيد الفصح، وقد انتهى أخيراً بقيام الملك هنري باطلاق سراح جميع الأسرى الذين أخذهم في صور، والذين أخذوا في قلعة ايمبرت، وكذلك جميع السيدات اللائي اعتقلن في نيقوسيا في الكنائس وفي بيوت الرهبانيات، عند قدوم (اللومبارد) إلى البلاد، وبذلك جرى تسليم قلعة سيرينا إلى الملك وإلى صاحب بيروت في سنة ١٢٣٣.

(١٩٤): وفي هذه الآونة، أي أثناء استمرار الحصار أمام سيرينا، حدث للملكة أليس زوجة الملك هنري، وابنة مركيز أوف مونتفرات، والتي كانت تعرف باسم اللومبارديـة، لأن الامبراطور كان قد أعطاه

إياهـا، وكانـت قد وضعـت نفسها في قلعـة سيرينا مـع الأبوليين، وتحت إمرة الامبراطور، حدث أن أصيبـت بداء عضال، وبذلك ماتـت، وعندما ماتت قام الذين كانوا في داخل سيرينا بالباسها كما ينبغي إلباس الملكة، ثم طلبـوا الأمان لارسال رجـل ليتحدث مـع الملك، وجاء الـذي حصل على الأمـان إلى الملـك، وأخبره أن زوجتـه الملكـة قـد انتقلـت مـن هـذه الحياة، وأن الذيـن كانوا في الداخل يـرسلون إليه رسالة أنـه إذا ما تفضل وتسلمها للقيـام بدفنهـا بما يتناسـب معها كملكـة، وأنه ينبغـي أن يفعل ذلك لها لأنها زوجتـه، ووافق الملك، وأعطيت هـدنة بأن لايقوم بـاطلاق النشاب أو رمـي الحراب من الخارج أو من الـداخل في أثنـاء حمل الملكة إلى معسكـر الملك، ثـم وضعها الـذين كـانوا في سيرينـا خارج القلعـة، وتسلمها الذيـن كانوا من معسكـر الملك، وحملت بعد ذلـك إلى نيقوسيا في مـوكب عظيـم على أيدي الفـرسان وهـم جميعاً يسيرون على الأقـدام، وأدخلت بكل تشريف إلى كاتدرائية كنيسـة القديسة صوفيا، وتولى رئيس الأساقفة يوستوريو دفنها.

(٢٠٣): وذهبت الملكـة أليس ملكة قبرص في سنة ١٢٣٢ إلى فـرنسا لاسترداد مقاطعة شامبين.

(٢٠٤): وتعرض البطريرك جيرولد للتهمـة في روما من قبل الامبراطور فردريـك، وانتزعت منه سلطـة نيابة البابـوية، وبناء عليه ذهـب إلى روما واسترجع النيابة البابوية لتكون في بطريركيته بشكل دائم.

(٢١٠): ثـم عادت الملكـة أليس ملكـة قبرص سنـة ١٢٣٥، بعدمـا استردت مقاطعـة شامبين، وقـد وصلت من بـلاد ماوراء البحـر إلى عكا سالمة وصحيحة.

(٢١١):: ذهـب في سنـة ١٢٣٦ صـاحب بيروت وابـن أختـه جـون صاحب قيساريـة وفرسان الاسبتارية وفرسان الداويـة لحصار مونتفيراند،

وقـدموا لـلاسبتـارية مجداً كبيراً، وخـدمة عظيمـة، وعـادوا بعد ذلـك إلى قبرص مع كثير من البهجة، وكانوا في سلام عظيم، وحالة جيدة.

(٢١٣): وحدث في هـذا الموسم في سنـة ١٢٣٩، أن بدأت في مملكـة فرنسـا حركة صليبيـة عظيمة للذهـاب إلى الارض المقدسة، وذهـب عدد كبير من الصليبيين عبر مرسيليـا، وذهب آخرون عبر برنـديزي، وكان في هذه الحركـة ثيبوت ملك نـافار، الذي كـان كونت شـامبين، وهيوج دوق بيرغندي، وبيتر دي دروكس Dreux الذي دعي بـاسم بيتر موكليرك Mauclerc ، كونت أوف بريتاني، وجون دوكـس أوف ماكون، كونت أوف فورزForez وكونت أوف نيفر Nevers، وهنري كونت أوف بار لى دوك Duc ، وعمـوري كـونـت أوف مونتفـورت، وعـدد كبير آخـر مـن الأعيـان، ومن هـؤلاء ذهـب كونـت أوف بار، وكـونـت أوف مونتفـورت وجماعتاهما من مـرسيليا، وعرفت هـذه الصليبية باسم صليبيـة البارونات، لأنه وجد بها عـدد كبير جداً من البارونات حسبما سمعت، وعنـدما قدم هؤلاء البارونات ووصلوا إلى عكا في يوم عيـد القديس جايل (صنجيل)، الذي يقـع في اليوم الأول من شهـر ايلول، كـان هناك حوالي الألـف من الفرسان، وقـد عسكروا في أرجاء المدينة وخارجهـا على السابلون Sabe-lon، وعقـدوا هناك مـؤتمراً، واتفقـوا على الـذهاب نجـدة إلى عسقـلان، وركبوا وانطلقـوا إلى يافا، ومعهم شعـب البلاد، وعندما وصلـوا إلى هناك أخبرهم جاسـوس بأن هناك ألف من الترك معسكريـن في غزة، وأن اسم أميرهـم وقائدهـم ركـن الديـن، وعندمـا سمـع الصليبيون بهذه الأخبـار اتفقـوا على أنهم يحتـاجـون إلى أربعمائة فارس لهذا الغـرض، وبنـاء عليـه انطلق كونـت أوف بار لى دوك، وكونت عموري أوف مـونتفورت، وبالين صـاحـب صيدا، ويـودس دي مـونتبليـارد، وجون دي إيبلين صـاحـب أرسوف، وغادروا يـافا في مطلع الليل، وسـاروا وبذلك كانـوا عند الفجر تقريبـا قرب غـزة، وتسلحوا، وزحفـوا على شكل أرتـال إلى المكان الـذي

كـان فيه الترك، وعنـدما رآهـم الترك ركبوا خيـولهم وتراجعـوا نحو رابيـة صغيرة، وعقد هناك ركن الـدين اجتماعاً مع رجاله حـول ما الذي ينبغي عليه القيـام به، وقد أشـاروا بوجـوب الابتعاد عن هنـاك وضرورة المغادرة لأنه ليس لديه ما يكفي من الرجال للقتال ضدهم، وأجابهم ركن الدين بأنـه سوف يغـادر في الوقت المنـاسب لـه، غير أنه سوف يبعـث برجـاله المسلحين بشكل ثقيـل ليكتشفوا أوضـاع الأعداء وأحـوالهم، ثم إنـه نفذ ماقـاله، وأرسـل مائتين مـن أتراكه ليتنـاوشوا معهـم، وحدث أنـه ما أن وصـل المنـاوشـون إلى الصليبيين حتـى بـدأوا بـالتراجـع، وهنـا شرع الصليبيـون بـالدوران ومـن ثـم الاصطـدام ببعضهم بعضـاً، ورأى ركـن الديـن الاضطراب والفـوضى السيئة للصليبيين، وبنـاء عليه انحـدر من الرابية حيث كـان، وزحف بسرعة كبيرة نحو موقع القتـال، وما أن وصل حتى انقض هو ورجاله بجرأة متنـاهية، وضربوا في وسط الفرنجة، بسبب المظهـر السيء الذي رأوه، وأوقعـوا فيهـم أضراراً بـالغة، وهكـذا خضـع الصليبيون بشكل فـوضوي، وبدون اتفاق بالرأي إلى الهزيمـة، ونجا منهم الـذيـن استطاعـوا الفـرار، وأسر المسلمـون هنـاك عموري كـونـت أوف مونتفـورت، وقتل هناك هنري كـونت أوف بارلى دوك، وكان هنـاك عدداً كبيراً مـن الفـرسـان الـذي قتلـوا أو أسروا، وتـم فقـدان جميـع الـداويـة والاسبتـارية وبقيـة الرجـالـة، كما أن معظم العتـاد والتجهيزات فقـدت، ووصل الـذين نجوا مـن القتال إلى عسقلان، ووجـدوا هناك ملك نـافار وكـونـت أوف بـريتـاني، وجيشهما كله، ومـا أن وصلـوا إلى هنـاك حتـى استبدبهم خـوف عظيم، وشعروا جميعـا، وبدا لهم أن المسلمين بـاتوا على الابواب ولسوف يأسرونهم جميعا، ولذلك مـا أن حل الظلام وباتت الدنيا ليلاً حتـى انطلق كل منهـم نحو يافا بـدون نظام أو تلقي أوامـر وبدون انتظـار بعضهم بعضـاً، وبتراجعهـم على هـذه الصورة وكـأنهم مهـزومين تركـوا كميات كبيرة مـن الأطعمة والتجهيـزات، وعندمـا وصلوا إلى يـافا مكثوا هنـاك لبعض الوقـت فقط، وفي الحقيقـة غادروها إلى عكـا وساروا

بدون توقف حتى وصلوا إلى هناك، وقد مكثوا هناك لمدة طويلة دون أن يقوموا بأي شيء مفيد، وكان من بين الذين نجوا من هذه المعركة بين آخرين من رجال البلاد، بالين صاحب صيدا، وفيليب دي مونتفورت، وجون دي إيبلين، صاحب أرسوف، ويودس دي مونتبليارد، وعدد كبير آخر من الحجاج.

(٢١٤): وكان في هذه الآونة رجل دين في طرابلس اسمه«وليم»، وكنيته « دي شامبين»، غير أنه كان قد ولد في طرابلس، وكان على معرفة عظيمة بصاحب حماة، وقد خدمه مراراً، وقد جاء إلى جيش ملك نافار، وقال للبارونات بأن سلطان حماة قد أرسل إليهم رسالة، بأنهم إذا مارغبوا بالقدوم إلى بلاده، حيث يتمكن من نيل قوة الصليبيين وعونهم، فإنه سوف يضع في أيديهم قلعته وسيصبح مسيحياً، وحول هذا الموضوع بعث إليهم رسالة يترجاهم فيها ويقول كل شيء يتوقف عليهم، إذا ما رغبوا بالوصول إلى هذه الغاية، وبناء عليه غادر الجيش عكا وزحف على طول الساحل حتى وصل إلى طرابلس، ووقف هناك، وعسكر رجاله أمام المدينة في أسفل تلة الحجاج، وبعثوا من هناك برسل إلى سلطان حماه برفقة رجل الدين وليم المتقدم الذكر لمعرفة فيما إذا كان يرغب بالاستمرار في الأشياء التي أرسل رسالة من أجلها وإكمالها، واصطنع السلطان معاذير بأن طلب عقد مواثيق، وشغلهم لبعض الوقت بالكلمات، غير أنه في النهاية تخلى عنهم وخذلهم في كل شيء، مثله مثل انسان لم يفعل شيئاً سوى أنه هزأ بهم، والعذر الذي قدمه هو أنه تراجع من خلال خوفه من صاحبة حلب، أم السلطان، التي كانت في حالة حرب معه، فقد كانت هذه السيدة متملكة للسلطةفي حلب، لأن ابنها ، سلطان حلب، كان دون السن القانونية، وعندما بات الصليبيون مدركين للخداع وللغش الذي مارسه سلطان حماة، وبعدما مكثوا لبعض الوقت أمام طرابلس، حيث احتفى بهم بوهيموند أمير أنطاكية احتفاء عظيماً،

واحتفل بوجودهم، غادروا وعادوا إلى عكا، غير أن جون كونت أوف ماكون مات في طرابلس، ودفن هناك في واحد من بيوت الرهبانيات الدينية.

(٢١٥): وعندما عاد حجاجنا إلى عكا، لم يمكثوا هناك وقتاً طويلاً حتى ذهبوا للإقامة في بيت الرعاية في حيفا بغية تمكين خيولهم من الرعي، وعندما لم يعد هناك مرعى، ذهبوا للإقامة قرب نبع الصفورية، وفيما هم هناك جاءهم رسول من عند سلطان دمشق للبحث معهم من أجل إبرام هدنة، وكان اسم هذا السلطان الصالح، وكان مايزال صاحب بعلبك، وهو ابن سيف الدين العادل، وتطورت الأمور على الجانبين، وهكذا أعدت الترتيبات بين السلطان والصليبيين، وتخلى بوساطة هذه المعاهدة عن قلعتي بلفورت وقلعة صافيتا لصالح الداوية، وسلم كذلك جميع الأراضي العائدة للقدس، وهي التي بحوزة الفرنجة، وذلك امتداداً من الساحل إلى نهر الأردن، وعقد الصليبيون ميثاقاً معه بأنهم سوف لن يعقدوا معاهدة أو يقيموا صلحاً مع سلطان القاهرة بدونه وبدون موافقته، وأنهم سوف يذهبون للعسكرة في عسقلان أو في يافا مع قواتهم كلها، للحيلولة دون سلطان مصر، ولمنعه من المرور خلال تلك الأراضي والبلاد عموماً ، ومن ثم الذهاب إلى سورية، وكان على السلطان المتقدم الذكر العسكرة على مقربة منهم حيث ينبع نهر يافا، وأقسم على جميع هذه المعاهدات التي سمعتم عنها، جميع بارونات الجيش، كما أقسم عليها السلطان مع جميع أمرائه، وبموجب هذه الموافقة سلم إليهم قلعة بلفورت وكذلك أراضي صيدا وطبرية .

(٢١٦): وعندما اكتمل التحليف على المعاهدة، كما سمعتم، ذهب الصليبيون للعسكرة قرب يافا ومعهم سلطان دمشق، وصاحب حمص أيضاً، وقدعسكروا عند نبع النهر مع جيشهم كله أيضاً، وجرى الإعداد لهذه المعاهدة التي سمعتم عنها وإبرامها من قبل الداوية، وبدون موافقة

فرسان مشفى القديس يوحنا، وبناء عليه رتب فرسان القديس يوحنا لأن يعقد سلطان مصر معاهدة معهم ومع جزء من الصليبيين ، وحلف على هذه المعاهدة ملك نافار، وكونت بريتاني، وعدد كبير آخر من الحجاج، دون إقامة أي تقدير لليمين الذي حلفوه وعقدوه مع سلطان دمشق، وهكذا عقدت تلك المعاهدة وفق الطريقة التي سمعتم عنها وغادر يافا وذهب إلى عكا كل من ملك نافار، وكونت بريتاني والحجاج الآخرون الذين حلفوا على هذه المعاهدة مع سلطان مصر، وفي عكا أمنوا سفناً لعبور البحر إلى بلدانهم، أما مقدم الاسبتارية الراهب بيتر دي فيلابرايد، الذي حلف على هذه المعاهدة، ولم يحلف شيئاً إلى سلطان دمشق، فقد غادر يافا مع فرسانه كلهم، وقد ذهب إلى عكا، وبقي هناك، وبقي رجال البلاد والداوية وكونت نفري وجزء من الحجاج، في يافا، ولم يرغبوا في خرق المعاهدة ولا الانسحاب من المواثيق التي عقدوها مع سلطان دمشق، وأوجد هذا بين صفوف الصليبيين حالة تمزق وعدم اتفاق، ذلك أن بعضهم ارتبط بمعاهدة، وبعضهم الآخر بمعاهدة أخرى .

(٢١٧): ومات في هذه السنة السير بالين صاحب صيدا .

(٢١٨): وفي ذلك الوقت الذي كان فيه الحجاج في عكا، تزوجت الملكة أليس، ملكة قبرص من نبيل فرنسي كان اسمه سير رالف دي سواسون، وكان هو أخ لكونت أوف سواسون .

(٢١٩): ومجدداً وصل إلى عكا في سنة ١٢٤٠ اللورد رتشارد أوف كورنوول Cornwall وكان أخاً للملك هنري ملك إنكلترا، وقد قاد كوكبة ممتازة من الفرسان، وقد حملوا معهم مقتنيات كثيرة، وأقام عندما جاء إلى عكا في بيت مشفى فرسان القديس يوحنا وبعدما أقام هناك لبعض الوقت جهز فيه رجاله وألبسهم، ذهب إلى يافا وأقام مع الصليبيين الآخرين الذين كانوا هناك، وفيما هو هناك ضغط عليه

الداوية حتى يـأخذ بمعاهدتهم ومواثيقهم مـع سلطان دمشق، وأن عليه أن يحلف عليها، وطلب منه الاسبتاريـة وحثوه على الأخذ بمعاهدتهم مع سلطان مصر، وتحدثـوا معه في عكا كثيراً حتى أنـه لم يرغب بالـوقوف إلى جانب ضد الآخـر، ولهذا قال إذا ما رغب الصليبيون الذين كـانوا في يافا بـالمعسكــرة في عسقـلان، فهـو على استعـداد لتحصين القلعــة، وعقـد بارونات الجيش والـداوية والاسبتارية والتيوتون مـؤتمراً للتشاور، وقالوا إن ما اقترحـه يتماشى مـع المعاهدة التـي عقدوها مـع سلطان دمشـق،وهي مربحـة للصليبيين، وعلى هذا تـوافقوا، وانطلقوا مـن يافـا، وعندمـا أمنوا العمال وكـل ما يحتـاجونـه للعمـل، ذهبوا إلى عسقـلان، ولدى وصـولهم إليها، وضعوا تجهيزاتهم، وانطلقـوا نحو العمل، وتمت أعمال تحصين قلعة عسقلان، وفق طريقة الملك رتشارد ملـك إنكلترا، الذي هو عم للكونت رتشارد هذا، الذي تولى الآن تحصينهـا، وأكمل تحصينها وجهزها على خير ما يمكنـه، ومن ثـم بعث إلى القدس فـارساً اسمـه وولتر بينينباي Pen-nenpie، الـذي كان وكيـلاً هنـاك للامبراطـور فـردريـك، وكان يحكـم القدس وفقـاً للمعاهدة وللشروط المبرمـة مع سلطان مصر، ومـا أن وصل وولتر بينينباي هذا إلى عسقـلان، حتى سلم الكونت رتشـارد القلعة إليه، وجعله حـاكماً لها مسؤولاً عن حمايتهـا لصالـح الامبراطور، وبعدمـا صنع الكـونت رتشـارد أوف كـورنوول هـذا، وافق على المعـاهـدة المعقودة مـع سلطـان مصر، وتمكن بـذلـك من إطـلاق سراح الكـونت عمـوري أوف مونتفـورت والفرسان الآخـرين الذيـن كان ركن الـدين قد أسرهـم لدى إلحاقه الهزيمة بالصليبيين عنـد غزة، وبعدما عمل هذا كلـه عاد الكونت رتشارد إلى عكـا، وأمّن سفنه وعاد إلى بـلاده في هذه السنة نفسهـا، وكان حيثما ذهب جيـش الفرنجة ذهب سلطـان دمشق، وعسكر إلى جـانبهم، وبعدمـا أمضى الحجـاج وقتاً في يافـا، وأعني الحجاج الـذين مكثـوا بعد ذهاب الآخريـن، رغبوا الآن في العودة إلى بلدانهم، وبنـاء عليه ذهبوا إلى عكا، وأمّنـوا هناك سفنهـم، وسافـروا عائديـن، وقام الصليبيـون الآخرون

كلهم بالعودة آنذاك إلى عكا .

(٢٢٠): وشرع في سنة ١٢٤١ جون دي إيبلين صاحب بيروت بتحصين قلعة أرسوف.

(٢٣٠): ووضع رتشارد فيلنغر نفسه في سفينة مع مقتنياته وأناسه وبقية رجال الامبراطور الذين كانوا في القلعة، وعبر إلى أبوليا، وبمجرد وصوله وضعه الامبراطور بالسجن هو وهنري وجون أوف سورنتو Sor-rento ابن أخته، وقد بقيوا في السجن مدة طويلة حتى أطلق سراحهم بوساطة الكونت ريموند أوف طولوز، وذلك حسبما ستسمعون حُول ذلك فيما بعد .

(٢٣١): وذهب لوثير أخو رتشارد فيلنغر المتقدم الذكر إلى أمير أنطاكية، الذي استقبله بترحاب كبير، ومنحه زواجاً نبيلاً، وسيدة ثرية في أنطاكية، حيث عاش بشكل جيد حتى موته .

(٢٣٢): وطلب رالف دي سواسون من السير بالين صاحب بيروت ومن السير فيليب دي مونتفورت، صاحب تورون، منحه مدينة صور لنفسه وللملكة أليس زوجته، ذلك أنه رغب في نيلها بالطريقة نفسها التي نال بها بقية الأشياء العائدة لمملكة القدس، وأجاباه أنهما لن يسلماه إياها، ولن يوكلاها له، بل سوف يتوليا حمايتها حتى يعلما إلى من عليهما تسليمها، ورأى السير رالف آنئذ أنه لايمتلك قوة ولا سلطة وما هو إلا مجرد خيال، ونتيجة لهذا الاستخفاف والإهانة التي واجهها في هذه القضية، تخلى عن كل شيء، وترك الملكة زوجته، وذهب إلى بلاده، وقال بعضهم بأن هذا الطلب قد تقدم به السير رالف سواسون والملكة أليس أمام قلعة صور قبل الاستيلاء عليها، لكن سواء أكان ذلك قبل الاستيلاء أو بعده، لم ينالا أبداً ما طلباه .

كيف ذهب الكونت ريموند أوف طولوز إلى روما يطلب

التحليل من البابا غريغوري

(٢٣٣): وذهب في هذه الآونة الكونت ريموند صاحب طولوز إلى روما، فهو كان متهماً بالهرطقة ومحروم كنسياً لهذا السبب، واستهدف تطهير نفسه وإلغاء حرمانه كنسياً وتحليله من قبل البابا غريغوري، واستقبله البابا بلطف بما فيه الكفاية، وبعد كلام كثير رسم البابا وجوب تحليله، وعهد بأعمال تحليله إلى رئيس أساقفة القديس نيقولا أوف باري، الذي كان آنذاك في روما، وكان رئيس الأساقفة هذا كاهناً عظيماً، ورجلاً حكيماً، وواحداً من الرجال النبلاء للملكة، ذلك أنه كان أخاً ألمانياً للسيررتشارد فيلنغر، الذي سمعت الحديث عنه من قبل، وقد أصبح على صلة وثيقة مع كونت طولوز، وعدّ الكونت نفسه مديناً له .

(٢٣٤): وحدث أن استأذن كونت طولوز من البابا المذكور وودعه ليذهب ويرى الامبراطور، لأنه امتلك ـ كما قال ــ رغبة عظيمة لأن يعمل على إيجاد اتفاق ما بين البابا وبين الامبراطور، وعندما حان الوقت لمغادرته روما ترجاه رئيس أساقفة باري كما طلب من عدد من الكرادلة أن يترجوه ليعمل على إطلاق سراح أخويه وابن أخته الذين كانوا في سجن الامبراطور، ووافق الكونت بترحاب ووعد أن يفعل كل ما يمكنه، وعند ذلك ذهب الكونت إلى أبوليا واستقبل بترحاب عظيم وعومل معاملة مشرفةمن الامبراطور، وبقي هناك لبعض الوقت، وتباحث مراراً هو والامبراطور، حول ما كان يرضيهما، أما بشأن المصالحة فيما بين الامبراطور والكنيسة فإنه لم يكن قادراً على فعل شيء، لذلك تخلى عن الموضوع، ثم إنه طلب من الامبراطور منحه هدية حسب طلبه، ووافق الامبراطور، وعلى هذا طلب منه رتشارد فيلنغر مع أخيه وابن أخته الذين كانوا في السجن، وأزعج طلب الكونت هذا الامبراطور كثيراً، وود كثيراً لو أن الكونت توقف عن هذا الطلب، واتهم السير رتشارد فيلنغر وصحبه بتجاوزات عظيمة وجرائم كان قد اقترفها بحق امبراطوريته،

وفعل هذا كله لعل الكونت يتوقف عن القيام بهذا الطلب، ولكن الكونت ما كان ليتخلى عن طلبه مهما كان الأمر، وتمسك به بقوة حتى أمر الامبراطور بإخراجهم من السجن، وأعطاهم إلى الكونت، على شرط أن يغادروا مملكته تماماً، وشكره الكونت، ثم قام الكونت بتوديع الامبراطور وعاد إلى بلاده، آخذاً معه السير رتشارد فيلنغر مع أخيه وابن أخته، وأعطاهم هناك إقطاعية فرسانية جيدة، وقد مكثوا هناك حتى جاء الوقت الذي خلع فيه فردريك من قبل البابا أنوسنت الرابع، ومات وهو محروم كنسياً حسبما سوف تسمع حول ذلك فيما بعد .

(٢٣٥): وانتهى هذا الكتاب في يوم الأربعاء في اليوم التاسع من نيسان من سنة ألف وثلاثمائة وثلاث وأربعين لتجسيد المسيح .

(٢٣٦): وقد كتب من قبل جون لى ميج Miege سجين مولاي عموري دي ميمار Mimars، والموقوف في قلعة سيرينا .

الملحق الثالث

اقتباسات تتعلق بصليبية فردريك الثاني من :

Breve chronicon de rebus siculis a robert guiscardi temporibus Inde AD Annum 1250"(Huillard - Breholles,Historia diplomatica Friderici Secundi (897 - 904)

في سنة ١٢٢٧ لتجسيد ربنا، وفي شهر أيلول، وفي أوله، قام السيد الامبراطور باستعدادات عظيمة، ورغب في عبور البحر مع الجيش الصليبي الذي كان يقوم في ذلك الحين بحشده من جميع أرجاء العالم في برنديزي، ولأنه هوجم بالمرض لم يستطع العبور، ومع ذلك لم يؤخر إرسال الجيش، بل أرسله مع بطريريك القدس، الذي كان مسرعاً يود الوصول إلى سورية بمثابة نائب للبابا وللكنيسة الرومانية، لكنه هو نفسه قد مكث مريضاً في أوترانتو، وهي مدينة في أبوليا، وقام في الشهر التالي، وهو تشرين الثاني، في السنة نفسها، البابا غريغوري، الذي خلف البابا هونوريوس، بجمع كل أساقفة إيطاليا، بعد مضي ثمانية أيام على عيد القديس مارتن، في هذا الشهر نفسه، في روما، في كنيسة القديس بطرس، وهناك تولى حرمان الامبراطور فردريك كنسياً لأنه لم يذهب، وقام الجيش الصليبي الذي عبر إلى سورية في العبور نفسه ببناء قلعتي صيدا، وقيسارية .

وفي سنة ١٢٢٨ لتجسيد الرب، وفي شهر نيسان، في مطلعه، ولدت الامبراطورة إيزابل التي هي زوجة الامبراطور فردريك، وابنة الملك جون، ولداً ذكراً كانت قد حملت به من زوجها الامبراطور فردريك، وحدثت الولادة في أندريا، وهي مدينة في أبوليا، وعندما علم الامبراطور ـ أبوه ـ بولادته، وكان آنذاك في تروبا Troya وهي مدينة في أبوليا، منحه اسم كونراد، وعلى كل حال انتقلت أمه بعد ولادته بعشرة أيام إلى الرب،

وكان ذلك في مدينة أندريا نفسها، وحضر مراسم دفنها جميع أساقفة مملكة صقلية، وذلك بسبب أن الامبراطور نفسه كان يرغب في العبور إلى سورية، حتى يتمكن من الوفاء بعهده، وفي الحقيقة انطلق السيد الامبراطور من ميناء برنديزي، وكان ذلك في شهر حزيران التالي من هذه السنة نفسها وفي الخمسعشرية نفسها، وحدث هذا بعدما جمع بعض السفن من مملكته الصقلية، وعندما انطلق كان معه أربعين من الغلايين، وكان ذلك عشية عيد القديس بطرس، أي في شهر حزيران المذكور أعلاه(٢٨ حزيران)، ووصل في اليوم التالي، وهو يوم عيد القديس نفسه إلى أوترانتو، وهي مدينة في أبوليا، ثم غادرنا أوترانتو في مساء ذلك اليوم، ووصلنا في اليوم التالي إلى جزيرة رومانيا التي تدعى أوثرون Othronos(فانو Fanu)، وغادرنا من هناك في اليوم التالي (١ ـ تموز)في حوالي الساعة السادسة، ووصلنا إلى جزيرة وقلعة تدعى كورفو، وتأخرنا هناك حتى المساء، ثم أبحرنا، ووصلنا في اليوم التالي بعد غروب الشمس إلى ميناء غويسكارد، واسترحنا هناك تلك الليلة، ووصلنا في حوالي الساعة السادسة من اليوم التالي إلى جزيرة سيفالونيا، التي كان فيها الكونت لورد مويان Maione، الذي كان من أبوليا، وغادرنا ذلك المكان عند حوالي غياب الشمس، وقد ثار البحر كما هو المعتاد، ووصلنا في اليوم التالي(٤ ـ تموز) في حوالي الساعة التاسعة إلى مودون Modon، وانتظرنا هناك حتى الصباح، وقد غادرنا من هناك قرابة إشراق الشمس، ووصلنا مع المساء إلى ميناء بورتوكاغلاي portocaglie، وبعد المكوث هناك طوال الليل، غادرنا في الصباح ووصلنا في مساء اليوم نفسه إلى جزيرة سيرجو Cerigo، وتأخرنا هناك حتى فجر اليوم التالي حيث غادرنا وأبحرنا نحو كريت، ووصلنا إلى هناك إلى الجزيرة نفسها في حوالي ساعة صلاة العشاء أو قرابة المساء، وكان ذلك إلى مكان يدعى سودا Suda،ومكثنا هناك طوال الليل، وفي الصباح التالي، أي في الثامن من تموز من الخمسعشرية نفسها، ثم شرعنا في العاشر من الشهر نفسه

بـالإبحار حـول سواحـل هـذه الجزيرة نفسهـا، ووصلنا في اليـوم الحادي عشر في حـوالي الساعـة الثـالثة إلى إحـدى مدن هـذه الجزيـرة، وتدعـى كانـديا(الخندق)، وقـد نزلنا دونها وبقينـا هناك طوال اليـوم والليلة، وفي اليوم التـالي، أي أن تقول في الثـاني عشر من تموز، غادرنـا كريـت وأقلعنا داخل البحر، ووصلنا في الثالث عشر من هذا الشهر الذي هو شهر تموز إلى جزيـرة رودس، ولأننا كنا منهكين بعـض الشيء استرحنا هنـاك طوال ليلة يوم الرابـع عشر، وأبحرنا من هناك في ذلك اليـوم نفسه، أي أن تقول في الـرابع عشر مـن شهر تموز، ووصلنـا إلى المدينـة التي اسمهـا رودس، وكان ذلـك في حوالي السـاعة التاسعـة، ولم ننزل إلى اليـابسة، ومـع ذلك مكثنا هناك في الميناء النهـار كله مع الليل، وغادرنا في الصبـاح، وأبحرنا على طول سـاحل مقـاطعة ليكيـا Lycia، ووصلنا في المسـاء إلى مدينـة بـاتارا التـي ولـد فيها نيقـولا معترف الرب، وبقينـا هنـاك طوال الليـل، وغـادرنا مـن هنـاك في الصباح(١٦ ــ تموز)، ورأينـا في حـوالي الساعـة الثالثـة مايـرا Myra المدينـة التي تميـز فيهـا القـديس نيقـولا خـلال معجزاتـه الربانية، وحيـث كان أسقفاً، ووصلنـا بعد الساعة التـاسعة في اليـوم نفسه إلى فينيقيـا، حيث وجـدنا مـاء بارداً جـداً بكميات عظيمـة، قادمـاً من أنهر كبيرة، ومكثنـا هناك ذلـك اليوم واليـوم التالي(١٦ ــ ١٧ تموز)، وأرحنـا أجسادنـا بعض الشيء، وشرعنـا بعـد هذا في يـوم الثامـن عشر من الشهر نفسـه بعد إشراق الشمس بالابحار نحـو جزيرة قبرص، وعبرنـا البحر في اليـوم العشريـن من الشهـر نفسـه ووصلنا إلى الجزيـرة، ووصلنا في اليـوم التالي إلى ليماسـول وهي مـدينة في تلـك الجزيرة، وبعـد اليوم الثـاني أو اليوم الثـالث جـاء الملك هنـري ملك الجزيـرة مع جميـع فرسـانه إلى عند الامبراطـور في ليماسول، ذلك أنه بـالنسبة للامبراطـورية التي هو مـن أتباعها يتوجـب عليه نحوه أداء الولاء، وفي الحقيقـة حدث أنه منـذ كان الملك طفـلاً أن استولى بعض الناس مـن جزيرتـه على كل مقتنياتـه، ولهذا السبب طلـب الامبراطور منهـم وجوب تقـديم حسـاب

حول بلاد الملك، وخشي هؤلاء أنه لن يكون بمقدورهم تقديم حساب كامل، لذلك قاموا في اليوم الخامس أو السادس ليلاً بمغادرة خيامهم حيث تركوها وما فيها من حاجيات، وانسحبوا سراً بدون أن نعرف، وقد ذهبوا إلى نيقوسيا، وهي إحدى مدن الجزيرة، وشرعوا في أعمال تحصين لثلاث قلاع موجودة في الجزيرة نفسها قائلين:«لن يبدو ظهورنا أقل من ظهور الامبراطور»، وعلى كل حال عندما رأى الامبراطور هذا بقي في ليماسول حتى يوم السابع عشر من شهر آب التالي، وذلك في الخمسعشرية الأولى، ثم إنه مضى إلى مدينة نيقوسيا المذكورة أعلاه، والتحق بنا أمير أنطاكية النبيل، وبعد البقاء هناك لعدة أيام جاء الذين عصوا عليه، وركعوا عند قدمي الامبراطور، وبعدما قام هكذا بتنظيم المملكة وتلقى أيمان الولاء من الجميع، قمنا في اليوم الثاني من شهر أيلول في الخمسعشرية الثانية، بأخذ الطريق إلى سورية، ووصلنا في اليوم الخامس من الشهر نفسه إلى البترون، ثم اجتزنا بيروت، وصيدا والصرفند، ووصلنا قبل الفجر إلى ميناء صور، ولم نمكث هناك طويلاً، بل وصلنا في ذلك اليوم إلى عكا، ووجدنا هناك الجيش الصليبي الذي تولى بناء قلعتي صيدا وقيسارية، وعندما نزلنا هناك، بدأ الامبراطور يبحث إلى أين يذهب مع جيشه، وبعث في الوقت نفسه سلطان مصر الذي جاء من مصر، والذي كان آنذاك مقيماً في شكيم، التي تدعى الآن باسم نابلس أميراً كبيراً إلى الامبراطور مع هدايا فاخرة، ووعد بوساطة هذا الرسول نفسه أن يرد إليه الأراضي المقدسة التابعة للقدس مع جميع ممتلكات تلك المملكة، وجميع الأسرى الذين لدى ابن أخيه، وبناء عليه أعاد الامبراطور هذا الرسول نفسه، وبعث معه رسوله الخاص، وبوساطة هذا الرسول بعث إلى السلطان كثيراً من الهدايا، وأعد الامبراطور بالوقت نفسه العدة للزحف مع جيشه لإعادة بناء يافا، ووصل الجيش في السادس عشر من تشرين ثاني من الخمسعشريةالثانية نفسها إلى يافا، وبدأ بكل نشاط بإعادة بناء قلعتها، ومن خلال المباحثات بين السفراء

الذين بذلوا الجهد في سبيل إقامة سلم بين الامبراطور والسلطان، أمكن في شهر آذار(شباط ١٢٢٩) تحقيق الوصول إلى اتفاق ومن ثم تنفيذه، أي أن تقول بأن السلطان نفسه أعاد بسلام وبهدوء إلى الامبراطور مدينة القدس والأجزاء الأخرى العائدة لهذه المملكة، وفي اليوم الثامن عشر من شهر آذار نفسه،وفي يوم الأحد آنذاك جرى غناء:«ابتهجي ياقدس الرب،وكونوا كلكم مبتهجين يا من تحبونه»، وتم تنفيذ هذا، ودخل الامبراطور نفسه مع الجيش الصليبي كله إلى المدينة مبتهجين، والذي كتب هذا كان شخصياً هناك، ولم ينحرف عن طريق الحق، وقدم روايته بناء على ما رآه ومن معلوماته المؤكدة، زد على هذا، إنه عندما تتم قراءة التاريخ والعودة إليه مراراً نجد أنه منذ أيام الامبراطورين هرقل وكونراد، ما من امبراطور دخل إلى تلك المدينة إلاّ الامبراطور فردريك هذا، كما ويقرأ كيف أن الصليبيين احتفظوا بها بسلام وهدوء حتى مجيء الوقت الذي تقدم ذكره أعلاه، وهو وقت احتلال الخوارزمية لها،....، ثم عاد الامبراطور فردريك في شهر نيسان، في الخمسعشرية المذكورة أعلاه، إلى مدينة عكا، حيث سمع بأن الجيش البابوي قد غزا مملكة صقلية، واحتل البلاد كلها حتى كابوا Capua..... ثم أقلع على سطح البحر الامبراطور المذكور أعلاه، وكان ذلك في الأول من أيار من الخمسعشرية المذكورة أعلاه، وأبحر مع سبعة من الغلايين المسلحة، كان الكونت هنري صاحب مالطا قد جلبهم معه في ذلك الحين من مملكة صقلية، وقد وصل إلى ميناء برنديزي في العاشر من حزيران .

(١٢٣١): وقد بعث مارشاله اللورد رتشارد فيلنغر مع جيش من فرسان المملكة إلى جزيرة قبرص، ولم يستطع النزول هناك لأن اللورد جون صاحب بيروت وقف ضده مع جيشه الكبير، وقد ذهبوا إلى بيروت في سورية ونزلوا في بلاد هذا اللورد جون نفسه، ولقد استطاعوا السيطرة على المدينة غير أنهم أخفقوا في الاستيلاء على القلعة، وعندما جاء شهر

أيار من هذه السنة(١٢٣٢)، أبحر جون صاحب بيروت هذا نفسه من قبرص إلى مدينة عكا مع جيشه، وانضم إليه جميع سكان عكا، وبعدما جمع جيشاً استطاع أن يرفع الحصار عن بيروت، وقام اللورد رتشارد هذا نفسه بركوب غلاييه وصحب سفنه التي كانت معه، وذهب إلى جزيرة قبرص، التي كانت متروكة بدون مدافعين، وتمكن بوساطة جيشه من الاستيلاء عليها كلها لصالحه وأخضعها لإرادته ولحكمه، وقام صاحب بيروت بعد هذا بحشد جيش، فعبر البحر وجاء إلى قبرص مع الجنويين، واقتتل الطرفان قرب نيقوسيا مع جيوشهما، وهزم اللورد رتشارد مع جيشه، ووقع ما لايقل عن أربعمائة من فرسانه بالأسر أو قتلوا، ونجا اللورد رتشارد من خلال فراره مع بعض الفرسان التابعين له، وتراجعوا إلى غلاييهم التي تركوها على مقربة من شاطىء البحر هناك، وعادوا بوساطة هذه الغلايين إلى صور، التي كانت بيد اللورد رتشارد، وكان قد حصنها لصالح الامبراطور .

الملحق الرابع

روايات معاصرة حول الاعتراف بالملكة أليس وبالاستيلاء على صور

أ: رواية مرسيليو جورجيو الوكيل البندقي (Tafel und Thomas (Urkun den) Zur Alteren Handels- und I I,354-356 staatges chichte Der Republik venedig)

(تشرين أول ١٢٤٣)

روى مرسيليو جورجيو، الوكيل البندقي في سورية أخبار عدد من الوقائع التي وقعت في ذلك المكان وفق تسلسلها، وذلك من أجل أي واحد يريد أن يدخل ضمن أحكام كومونة البنادقة، حتى يتمكن من حماية نفسه والاحتراز لها، ولكي يستطيع تدبر هذه الأعمال المتعلقة بمجد وازدهار وصلاح السيد الدوج وكومونة البندقية، ولهذا تدبرت أنا مرسيليو جورجيو، الوكيل البندقي في سورية أمر تدوين ماسوف يظهر أدناه كتابة.

ذلك أنني عندما دخلت سورية للمرة الأولى، وجدت اللومبارد، الأشرار جداً، الذين كانوا مستولين على صور لصالح السيد الامبراطور فردريك، وكانوا يتصرفون وكأن جميع الموارد التي ينبغي أن تكون لكومونة البنادقة جميعها في داخل مدينة صور وفي خارجها هي حق لهم وملك، وبذلك حرمونا من كل شيء كلياً، ولقد رغبت في أن أعرف من الوكيل الذي كان هناك عن الامبراطور المذكور لماذا كان يفعل هذا، ورؤية فيما إذا كان من الممكن له اعادة ذلك إلينا، وقد بعثت إليه برسل فرفض الاستماع إليهم، لابل رفض حتى رؤيتهم، وهذا لاشك هو الأسوأ، كما جعلني أعرف من خلال قوم أدنياء أنه لايثق بي خاصة، ولايثق بالبنادقة الآخرين بالأشخاص وبالأشياء، وبناء على هذا إنه إذا ما أراد أن

يؤذيني شخصياً أو يـؤذي البنادقة الآخرين، يمكن أن يعـد بمثابة خائن، ورأيت إثـر هذا أن الـوكيل المذكـور كان يـوجه جهـوده كلها في محاولـة الاستيلاء على مـدينة عكا مـن أجل حرمـاننا وطردنـا مع جميع الآخـرين المرتبطين بـالكنيسة الـرومـانية، وبـدأت بحكمـة في محاولـة إقناع اللـورد فيليب دي مونتفـورت، الذي كان صاحـب تورون، مع آخريـن اعتقدت أنهم كانوا قادريـن على القيام بأعباء مثل هذه المواجهـة الهامة، واستطعنا في النهـاية أن نحتفـظ بعكا، ومـن ثـم إعادة الاستيـلاء على صور، وقـام الذيـن كانوا بـالحقيقة يمعنون التفكير حول هـذه الأشياء التي حـدثتكم عنها، والـذين كـانوا يقلبـون الرأي في عقـولهم عما يمكن أن يحدث لهم، قاموا بالموافقة على الأمور التي اقترحتها عليهم.

وقـام البارونـات المتقـدم ذكرهـم، وقد رأوا المخـاطـر التي يمكـن أن يتعرضـوا لها في عكا من وكيـل الامبراطور، وكـانوا واثقين من المعـاهدات المعقـودة مع الجنـويين، قـاموا بـالإعداد للمشروع التـالي ومـن ثم القيـام بتنفيذه: يتوجـب على ملكة قبرص التي اسمها أليس أن تطـالب بمملكة القدس مـن رئيس أساقفـة صور، الذي كان نـائب البطريرك ومـن جميع الأساقفة الآخريـن في المملكة المذكورة، ومن بيوت الرهبـانيات النظامية، ومن كـومونة مـدينة عكا، ومن كـومونتي البنـادقة والجنويين، ومـن جميع الآخرين بموافقـة صامتة على أساس أنها وحدها فقـط في المملكة، كانت وفقاً للعادات هي الأكثـر شرعية من أي انسان آخر كان في ذلـك الوقت موجوداً في المملكة، ورأى الأسـاقفة والبارونات مع الآخريـن الذين تقدم ذكرهـم أعلاه، بعد تشـاورهم مع بعضهم بعضـاً بكل دقة، أن مـا طلبته الملكـة أليـس كان حقـاً، ولـذلـك وافقـوا على التماسها على أنـه مطلـب شرعي، وأقسمـت الملكة المذكـورة— وفقاً للعـادات— بين يدي رئيـس أساقفة صـور والبارونات أنها سوف تحكـم المملكة وفق الطريقـة التالية: إنها سوف تحافظ على عـادات المملكة فيما يتعلق بالبارونات، وبـالفرسان

وبجميع الشعب، وستحافظ أيضاً على أوضاع الكنيسة وأحوال الدين، ولسوف ترعى امتيازات الأفراد وتحافظ عليها، ولسوف تحفظ بشكل خاص وتبقي بشكل سليم المعاهدة والامتيازات مع دوج البندقية وكومونة البنادقة، وبعدما حلفت الملكة قام زوجها واسمه رالف دي سواسون فأقسم مثلها ، وبعد إقسام الملكة هي وزوجها، قدم كل البارونات، والفرسان وشعب المملكة الولاء للملكة ولزوجها، وذلك وفقاً لعادات المملكة، وكان هذا هواليوم الخامس منذ بداية شهر حزيران من السنة المذكورة أعلاه.

وبعدما تم انجاز جميع ماورد ذكره أعلاه، قامت الملكة المذكورة، وقد استحوذت على حكم المملكة، وطلبت مني تسليح واحد من الغلايين على حسابها، بما أنها ترغب به من أجل مقصد الذهاب للاستيلاء على صور، على أساس أنها بلادها التي من مسؤولياتها المطالبة بها والحصول عليها، ورتبت معنا أن نعيد الاستيلاء على حصتنا، وبناء عليه اجتمعنا للتشاور، ورددت عليها بنفس راغبة بأننا سوف نمنحها الغليون، لكن ليس كما سألت على حسابها، بل على حسابنا كلياً، وكان هذا بسبب أن السيد الدوج وكومونة البندقية لم يعتادوا على القيام بأية خدمة لأصدقائهم على حساب هؤلاء الأصدقاء، بل على حسابهم هم كلياً، هذا وطلبت منها ومن البارونات مايلي: إنه بمشيئة الرب سوف نحصل على تملك البلاد مع البارونات، ووقتها سوف تعيد إلينا — تماشيا مع اليمين— كل ما كان قد صودر وانتزع مما كنا نمتلكه في صور في كل من الداخل ومن الخارج وفي كل مكان آخر من المملكة كلها، وأنها سوف تحافظ على امتيازاتنا كاملة دونما نقص، وردت السيدة الملكة واللورد رالف زوجها، وكذلك رد صاحب بيروت واللورد فيليب دي مونتفورت، بأن ذلك سوف يكون خدمة عظمى، ووعد كل واحد وفقاً لما وعدوا به وحلفوا على ذلك— ذلك أنهم كانوا مرتبطين بتحالف معقود فيما بيننا

وبينهم، وكان قد أقيم لدى قدوم الامبراطور— وتعهدوا بمواثيق الفروسية بأنه إذا ما أعطاهم الرب البلاد سيعيدون تنظيم الأمور الادارية وسوف ينفذون هذه الأشياء، وذلك حسبما طلبت، وقمت أنا بناء عليه، وقد وثقت بوعودهم وباخلاصهم وصدقهم، فأعطيتهم الذي طلبوه مني، وذهبت معهم على الطريق البري، وكان معي ثلاثين فارساً مسلحين بشكل جيد، وكان هذا في التاسع من الشهر المذكور.

وبعد ما وصلنا إلى صور، استولينا على المدينة في نهاية اليوم الثالث، وكان هذا بمعاونة بنادقتنا الذين كانوا برجاسية فيها، وأعدنا الاستيلاء على القلعة في نهاية اليوم الثامن والعشرين بعد جهد كبير، لأننا أنشأنا هناك آلة حصار، ومالبثنا أن استولينا عليها، وما كنا لنستولي عليها لولا أن وكيل الامبراطور الذي كان ذاهباً إلى أبوليا قد جنحت به سفينته في ممر جبل بارشي Barche، وقد عاد بالمركب الصغير العائد للسفينة التي أبحر فيها، ورجع إلى صور، وهكذا اعتقلناه، وقد أنشأنا منصة فوق برج مرتفع مواجه للقلعة، وأعلنا أننا سوف نشنقه، وارتعب الذين كانوا في القلعة من عزمنا على شنقه، وسلموا القلعة وفق الشروط التالية: إنهم سوف يحصلون على حريتهم، وبعدما اكتمل الاستيلاء على المدينة وعلى القلعة، أخذت الملكة طريقها إلى صور، وقد جئت إليها عبر الطريق الرئيسي وطلبت منها ومن البارونات وجوب أن يعيدوا إليّ جميع الأشياء التي وعدوا بها، وأن يجعلونا نتملك الأشياء التي انتزعت منا، وقد ردت الملكة عليّ مع البارونات بأن لديهم الرغبة بفعل ذلك بكل سرور، وأنهم متمسكون بما وعدوا به، لكنهم سألوني الانتظار حتى يعودوا إلى عكا، من أجل أن يتمكنوا من ايضاح الأمور لرجال المملكة، وبذلك يحولون ضد أي تحرك شرير يعزى إليهم، وبذلك سوف يكون ضمانة عظمى لنا، وقالوا بأنهم على يقين أنه بالنسبة لهذه القضية لن يكون هناك أي عمل معارض من قبل أي انسان، ولايمكن أن يكون، ولمعرفتي بأنه لن يكون

هناك من سوف يعارضهم، كما قالوا، فقد وافقت.

(ثم تابع مرسيليو يعدد جميع الممتلكات والامتيازات التي عادت إلى البنادقة في صور وعكا وفي جميع أرجاء مملكة القدس).

ب: رواية جون دي إيبلين صاحب يافا حول «الوثائق المتعلقة بالوصول إلى وكالة المملكة ونيابتها» قوانين القدس: ٢/ ٣٩٩— ٤٠

عندما وصل الملك كونراد إلى السن الشرعية بعث برسائل وبرسل لوضع رجل محله، وبناء عليه اجتمع رجال الاقطاع، وكان بين الحضور يستوريو، رئيس أساقفة نيقوسيا، الذي كان آنذاك نائب البطريرك، وقد قالوا مايلي: إذا كان يرضي الملك كونراد أن يقدم لتسلم سلطاته، سوف يستقبلونه بمثابة سيدهم الشرعي، ذلك أن أحكام المملكة المذكورة وممارساتها لايمكن أن تدار بالرسائل وبالرسل، وهم لن يتمكنوا من فعل ذلك له، لأن هذا الأمرسيكون معاكساً لأيمانهم ولإخلاصهم، وبالنسبة له الذي هو سيدهم، وسوف يرتبط بهم بالثقة والاخلاص، هم متأكدون بأنه لايرغب مطلقاً بالعمل وفق أي طريقة يبدون هم فيها أو يكونون مقترفين لعمل أي شيء زائف أو معاكس لأحكام وممارسات المملكة المذكورة التي متوجب عليه حكمها والحفاظ عليها، ولأنه قد بدا لهم أنه لايعرف جيداً الممارسات المذكورة، فإنهم قد أخبروه بها، غير أنهم سوف يحمون المملكة وفقاً لممارساتهم حتى يتفضل ويأتي، وكان عندما وصل الملك كونراد إلى السن الشرعية، اجتمع رجالات المملكة، ومثلوا بحضرة يستوريو رئيس أساقفة نيقوسيا، والذي كان النائب البطريركي في نيقوسيا في الوقت نفسه، وذلك حسبما أخبرتكم من قبل، وبينوا بأحاديثهم كيف أن مولاهم الملك كونراد قد وصل إلى السن القانونية، وبما أنه وصل إلى السن القانونية، لم يعد والده الامبراطور فردريك وكيل البلاد، ذلك أن أحكام وممارسات مملكة القدس، وكذلك مملكة قبرص هي كما يلي :عندما يصل الوريث الشرعي إلى السن القانونية يفقد الأب